الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قسم اللغة العربية وآدابها

مداخلة بعنوان:

مداخلة بعنوان تحكيم اللغة العربية بين الإعجاز العلمي والإعجاز البياني

من إعداد الدكتور:

- عبد العزيز جودي (المدرسة العليا للأساتذة – سطيف-)

تحكيم اللغة العربية بين الإعجاز العلمي والإعجاز البياني

Arbitration of the Arabic Language Between the Scientific Miracles and the Rhetoric Inimitability

د.عبد العزيز جودي

أستاذ محاضر – ب-

المدرسة العليا للأساتذة – سطيف -

abdelaziz8djoudi@gmail.com

ملخص المداخلة باللغة العربية:

إنّ الناظر لأوّل وهلة في قضايا الإعجاز العلمي الذي ظهر بأَخَرة ينبهر بكثير من الاستنباطات التي ربط فيها أصحابها بين الاكتشافات العلمية المعاصرة وبعض الدلالات الخفية لبعض الآيات القرآنية، وقد راج هذا الإعجاز بين الناس وذاع صيته في الآفاق حتى غطّى على باقي أنواع الإعجاز في القرآن الكريم.

غير أنّ هذا الانبهار سرعان ما يتكدّر صفوه عند إمعان النظر في حقيقة هذا الإعجاز وغايته وأدواته ومدى موافقته للغة العربية، لغة الإعجاز الحقيقي الذي تحدّى الله عز وجل به من أنزله عليهم بلسانهم العربي وعلى نبيهم العربي الأمي ﷺ، وسنسعى بحول الله في هذه المداخلة لتحكيم اللغة العربية في بيان مخالفات منهج الإعجاز العلمي في كثير من نماذجه لما عليه منهج أهل التفسير، لنستجلي الحقائق الصادقة من المزيفة، ولنضع الضوابط العلمية لقبول أو ردّ نتاج هذا النوع من الإعجاز.

الكلمات المفتاحية:

إعجاز علمي – إعجاز بياني – اللغة العربية – التفسير.

Abstract:

The first sight at the issues of the scientific miracles that appeared in this decade will be pleased by many deductions in which their authors link between contemporary scientific discoveries and some hidden indications of some Quranic verses, so this kind of Inimitability spread among the people, and its fame spread throughout the horizons, until it overshadowed the rest of the types of Holy Quran Inimitability.

However, this fascination quickly darkens when one carefully considers the reality of this kind, its purpose, its tools, and the extent to which it agrees with the Arabic language, the language of the true miracle with which Allah Almighty challenged those who revealed it to them in their Arabic tongue and on illiterate Arab Prophet, peace be upon him, and we will seek, by Allah's will, in this intervention to arbitrate the language Arabic in explaining the violations of the method of scientific miracles in many of its models, according to the methodology of the Quran interpreters, so that we can discover the true facts from the false ones, and let us put scientific criteria for accepting or rejecting the results of this kind of Inimitability.

Keywords:

scientific miracles, rhetoric inimitability, arabic language, Quran interpretation

بسم الله الرحمن الرحيم

أنزل الله القرآن الكريم هداية للناس وإخراجا لكم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، وقد تحدّى الله عزّ وجل به العرب بأن يأتوا بأدنى سورة منه، فأعجزهم إعجازا لغويا بالدرجة الأولى، مع تضمنه لأنواع أخرى من الإعجاز كالإعجاز الغيبي والتاريخي و...الخ.

ومن أبرز أنواع الإعجاز التي ظهرت بأخرة "الإعجاز العلمي"، وقد اختلف العلماء فيه مثبت وناف، وبين مادح وقادح، وبين مقتصد فيه ومسرف، وسنسعى بعون الله في هذه المداخلة إلى معالجة مدى موافقة الإعجاز العلمي للغة العربية وفهم السلف للقرآن الكريم، فلابد من تحكيم اللغة العربية في ما اختلف فيه لأنها لسان الكتاب العزيز، وسنتطرق للعناصر الآتية:

1) **مفهوم الإعجاز العلمي في القرآن**

2) **مشروعية الإعجاز العلمي في القرآن**

3) **نماذج تطبيقية من الإعجاز العلمي وتحكيم اللغة فيها.**

4) **ضوابط منهجية في قبول دعوى الإعجاز العلمي**

5) **خاتمة**

أولا: مفهوم الإعجاز العلمي في القرآن:

المقصودُ بالإعجاز العلمي للقرآن: هو إخباره عن حقائقَ علمية لم تكن معروفة للبشرية يوم نزول القرآن على نبينا صلى الله عليه وسلم، ولم يكتشف العلمُ هذه الحقائق إلا في وقتنا الحاضر.

وهذا الإعجاز العلمي يعتبر دليلًا أيضًا على أن محمدًا صلى الله عليه وسلم رسولٌ من عند الله تعالى، وأن ما نطَق به من حقائق علمية – على أن محمدًا صلى الله عليه وسلم كان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب – دليلٌ واضح على صِدق نبوته.

وهذا الإعجاز العلمي يدخل في ما يسمى بالإعجاز الغيبي، وهو فرع منه، إذ مآله الإخبار بما غاب عن الناس فترة من الزمن، ثمَّ علمه المعاصرون.

قصارى الأمر في مسألة الإعجاز العلمي أنَّ الحقيقة الكونية التي خلقها الله، وافقت الحقيقة القرآنية التي تكلم بها الله، وهذا هو الأصل؛ لأنَّ المتكلم عن الحقيقية الكونية المخبر بها هو خالقها، فلا يمكن أن يختلفا البتة.

وكل ما في الأمر أنَّ هذه الحقيقة الكونية كانت غائبة من جهة تفاصيلها عن السابقين، فمنَّ الله على اللاحقين بمعرفة هذه التفاصيل، فكشفوا عنها، وأثبتوا حقيقة ما جاء في القرآن من صدق، فكان اكتشاف ذلك من دلائل صدق القرآن الذي أخبر عنها بدقة بالغة، لم تظهر تفاصيلها إلا في هذا العصر الذي نبغ فيه سوق البحث التجريبي الذي صارت دولته إلى الكفار دون المسلمين، فصاروا إذا ما اكتشفوا أمرًا جديدًا عليهم سارع المعتنون بالإعجاز العلمي لإثبات وجوده في نصوص القرآن.

ثانيا: مشروعية الإعجاز العلمي في القرآن:

الإعجاز العلمي من أنواع **التفسير بالرأي**، والتفسير بالرأي هو تفسير الآيات القرآنية بالعلوم المرتبطة بموضوعها، أو ربطها بواقع، أو إسقاط على حال مشابه على أن يتَّبعَ التفسير بالمأثور، ومنه المحمود عند أهل العلم، ومنه المذموم، والمذموم ما فسَّر القرآن بغير معانيه، والمحمود منه ما كان فيه احترام ثوابت التفسير وهي :

1- المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم.

2- المأثور عن أصحابه عليهم رضوان الله.

3- مقتضيات اللغة العربية. فإذا احترمت هذه الثوابت، فلا حرج على المفسر، ولعله لا يدخل تحت طائلة الوعيد في الحديث الذي رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي عنه عليه الصلاة والسلام: (من تكلم في القرآن برأيه فأصاب، فقد أخطأ). وقول الصديق –رضي الله عنه– وقد سئل عن الأب فقال: (أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني، إذا قلت في القرآن برأيي؟).

فكل الأدلة تشير إلى أن شخصاً قد يفتح له بفهم في كتاب الله، لم يكن معروفاً لغيره. وهذا ما يشير إليه دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس: (اللهم فقه في الدين، وعلمه التأويل)، واتفق العلماء على أنه تأويل القرآن، وقول أمير المؤمنين علي –رضي الله عنه، وأرضاه– لما قال له أبو حنيفة: هل عندكم شيء من الوحي ليس في كتاب الله؟ فقال: (لا والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لا أعلمه إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن).

فهذا الفهم هو الذي نعتمد عليه في تعاملنا مع القرآن بالعلوم.

وقد قال الفخر الرازي: (إن المتقدمين إذا ذكروا وجهاً في تفسير الآية، فذلك لا يمنع المتأخرين من استنباط وجه آخر في تفسيرها)

هذا في التفسير بما لم يؤثر عن السلف بصفة خاصة، أما فيما يتعلق بالتفسير العلمي، فقد اختلفت أنظار العلماء، ولعل أقرب ذلك إلى الصواب. وأولاه بالإتباع ما قاله في **التحرير والتنوير**، حيث يقول ابن عاشور: (.. وإن بعض مسائل العلوم قد تكون أشد تعلقاً بتفسير آي القرآن ..... وكذا قوله تعالى: (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) فإن القصد منه الاعتبار بالحالة المشاهدة، فلو زاد المفسر ففصل تلك الحالة، وبين أسرارها، وعللها، بما هو مبين علم الهيئة، كان قد زاد للمقصد خدمة.

وإما على وجه التوفيق بين المعنى القرآني وبين المسائل الصحيحة من العلم حيث يمكن الجمع. وإما على وجه الاسترواح من الآية كما يؤخذ من قوله تعالى: ويوم نسير الجبال [الكهف: 47] أن فناء العالم يكون بالزلازل، ومن قوله: إذا الشمس كورت [التكوير: 1] الآية أن نظام الجاذبية يختل عند فناء العالم. وشرط كون ذلك مقبولا أن يسلك فيه مسلك الإيجاز فلا يجلب إلا الخلاصة من ذلك العلم ولا يصير الاستطراد كالغرض المقصود له لئلا يكون كقولهم السي بالسي يذكر. [1]

[1] يُنظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس،1984، ج1، ص 43.

ثالثا: نماذج تطبيقية من الإعجاز العلمي وتحكيم اللغة فيها:

المثال الأول: تحميل النص ملا يحتمل

لا شكّ أنّ كثيرا من استنباطات الإعجاز العلمي يمكن قبولها لكونها مشاهدة ومحسوسة، غير أنّ بعض الأقوال فيه مصادمة للغة العربية وفهم أهلها الذين أنزل القرآن بلسانهم، ومن ذلك ما قيل في قوله تعالى:

﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣﴾ الرحمن: ٣٣.

فقد ذهب كثير من الباحثين في الإعجاز العلمي على أنّها إشارة إلى إمكانية الصعود إلى القمر، قال الدكتور فهد زايد: وتشير هذه الآية في وضوح إلى أنّ الإنسان إذا أوتي السلطان، وهو القوة مع العلم الذي يكتشف به أسرار الكون، رغم أنّه تمكّن بواسطة سلطان العلم أن يتخلص من قبضة جذب الأرض، فيسبح عبر الفضاء الخارجي، فلن يستطيعوا النفاذ إلى أقطار السماء إلا إذا أراد الله سبحانه.[1]

وهذا الكلام يشكل عليه عدة أمور، منها:

1- ذهب جمهور المفسرين كالسمين الحلبي[2]، والثعالبي[3]، والجلالين[4]، والآلوسي[5]، وابن عاشور[6]، والسعدي[7] إلى أنّ قوله " فانفذوا" فعل أمر يراد به **التعجيز**، وليس الإمكان، لأنّه لا سبيل لأحد من

---

[1] يُنظر: الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم: فهد خليل زايد، دار النفائس، عمان، الأردن، 2008، ص 93.

[2] يُنظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ج 10، ص 170.

[3] يُنظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ ، ج5، ص 351.

[4] يُنظر: ، تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولى، ص 710.

[5] يُنظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ، ج 14، ص 111.

[6] يُنظر: ، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج27، ص 258.

[7] يُنظر: ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م، ص 830.

الجن والإنس النفاذ من أقطار السماوات والأرض يوم القيامة، وهو مقتضى السياق، لأنّ قبله قوله تعالى:

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ الرحمن: ٣١، وبعده: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ الرحمن: ٣٧ – ٣٩

ومما يؤكّد حمل الأمر في الآية على التعجيز قوله تعالى بعدها: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾ الرحمن: ٣٥

أي: ستمتنعان من النفاذ، بل يسوقكم إلى المحشر. [1]

وقال فيها ابن كثير رحمه الله: أي لا تستطيعون هربا من أمر الله وقدره بل هو محيط بكم، لا تقدرون على التخلص من حكمه ولا النفوذ عن حكمه فيكم، أينما ذهبتم أحيط بكم، وهذا في مقام الحشر، الملائكة محدقة بالخلائق سبع صفوف من كل جانب فلا يقدر أحد على الذهاب إلا بسلطان أي إلا بأمر الله يقول الإنسان يومئذ أين المفر كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر [القيامة: 10- 12] . [2]

ومن أسباب غلط حمل الآية على ما زعمه أصحاب التفسير العلمي – إضافة إلى ما سبق – أنّ هذا الكلام مصادم للمنقول عن الصحابة والتابعين في معناها.

وأيضا مخالفته لبلاغة القرآن، فقد حمل الأمر فيه على الخبر، والصحيح كما سبق أنه للتعجيز لعدة قرائن قوية منها:

- أنّ الله ذكر معشر الجنّ والإنس مجتمعين، فهو قريب من قوله تعالى:

- ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ الإسراء: ٨٨

[1] يُنظر: تفسير الجلالين، مرجع سابق، ص 710.

[2] يُنظر: تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط1، 1419 ، ج7، ص 458.

وأيضا قوله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ ظاهر في التحدّي، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٥﴾ الأنعام: ٣٥

- ومن أوضح القرائن على بطلان حمل الأمر على معنى الخبر أنّ ذلك بعيد يتنافى مع بلاغة القرآن، إذ يصير التقدير: " يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا فستنفذون !!!"

وهذا لا معنى له وهو غاية في الركاكة كقولك إن استطعت أن تقرأ فستقرأ...والله أعلم.

- **المثال الثاني: تفسير القرآن بالمصطلحات الحادثة " مصطلح الذرّة"**

من أمثلةِ تفسيرِ القرآن بمصطلحاتِ العلمِ التَّجريبيِّ، الذي فُتِنَ به كثيرونَ، فصاروا يُجهِدونَ أنفسَهم في التوفيقِ بين ما في هذه العلوم التَّجريبيَّةِ الحديثةِ وبين نصوصِ القرآن، وقد أتوا في كثيرٍ من الأحيانِ بالطَّوامِّ، ولَيِّ أعناقِ النصوصِ إلى هذه العلومِ؛ كأنها هي الأصلُ، والقرآن تبعٌ لها، ومن أمثلةِ ذلك " مصطلح الذرّة"، الذي اكتشف مؤخرا فأسقطوه على المفردة القرآنية "الذرّة" التي وردت في كثير من الآيات في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ الزلزلة: ٧ – ٨

فجعلوا الذرة في القرآن بمعنى البروتونات والنيترونات !!!

يقول الشَّيخ **أحمد محيي الدِّين العجوز** . في كتابه **"معالم القرآن في عوالم الأكوان" (تحت عنوانِ "حقيقة الذَّرَّةِ وطاقتها"**:

"وقال العلماءُ قديماً :أنَّ الجوهرَ الفردَ (الذَّرَّةَ) لا يتجزَّأ ، ولا يمكنُ له ذلكَ. بيدَ أنَّ علماء الذَّرَّةِ في عصرنا الحديثِ توصَّلوا إلى تجزئةِ الذَّرَّةِ، وإلى معرفةِ وزنها. واعتبروا أنَّ وزنها (١.٦٦) جزءً من مليونِ مليارِ مليارِ جزءٍ من الغْرَامِ، فسبحان اللهِ الَّذِي خلقَ الذَّرَّةَ ونواتها وما فيها من طاقةٍ وكتلةٍ وقوَّةٍ.

وإذ توصَّلَ رجالُ العلمِ الحديثِ إلى تجزئتها، فإنَّ **القرآن الكريمَ أعلنَ ذلكَ صراحةً** مشيراً لذلكَ بلفظِ (أصغر)؛ أي :أصغر من الذَّرَّةِ، فقال : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ

ذَرَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦١﴾

يونس: ٦١

وقال تعالى :﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٣﴾﴾ سبأ: ٣، فذكر اللهُ :مِثْقَالَ ذَرَّةٍ (وهو وزنُها)، وَلاَ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ، وهو جُزْؤها، **فيكونُ القرآنُ قدْ سبقَ علماءَ الذَّرَّةِ بذكر ثقلها ووزنها وانقسامها، فكانَ ذلك معجزةً واضحةً**"[1]

وهذا المتعرِّضُ لتفسيرِ هذه الآية .كما ترى . لم يُجهِدْ نفسَه في البحثِ عن معنى الذَّرَّةِ في لغةِ العربِ ولا في قولِ المفسِّرينَ، إذ لا تجدُ لهم ذِكْراً عنده، بل حملها على مصطلحاتٍ حادثةٍ، فجعلها بمعنى الجوهرِ الفردِ عند المتكلِّمينَ، ثمَّ جعلها الذَّرَّة المعروفةَ في هذا العصرِ في اصطلاحِ الفيزيائيين والكيميائيين، وهلْ أُنزلَ القرآن على مصطلحاتِ المتكلمينَ أو منْ جاءَ بعدَهم؟.!

وإذا جئنا إلى تحكيم اللغة العربية (لغةُ من نزلَ القرآن بلسانهم.!) فيما ذكره صاحب الكتاب نجد الآتي:

إنَّ الذَّرَّةَ بلسانِ العربِ :النَّملةُ الصَّغيرةُ، وهذا هو المعنى المعروفُ من هذا اللَّفظِ، ولذا تجدُ في بعضِ المعاجمِ" والذَّرُّ: جمع ذرَّة، معروفٌ"؛ **أي أنَّ هذا المعنى لا يخفى على أحدٍ يتكلَّمُ هذه اللُّغةَ.**[2]

وهذا المعنى هو المرادُ هنا، وَرَدَ ذلكَ عنِ ابنِ عباسٍ.

وقالَ الطَّبَرِيُّ وقوله} :مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ] {يونس: ٦١ :[يعني: من زِنَةِ نملةٍ صغيرةٍ، يُحكَى عن العربِ :خُذْ هَذَا، فَإِنَّهُ أَخَفُّ مِثْقَالاً مِنْ ذَاكَ؛ أي :أخفُّ وزناً.

والذرة :واحدة الذر، والذر :صغار النمل.[3]

---

[1] يُنظر: معالم القرآن في عوالم الأكوان: أحمد محيي الدِّين العجوز، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص 298.

[2] يُنظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم: مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي،ط1 ، 1432هـ، ص622.

[3] يُنظر: جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000 م، ج15، ص 117.

المثال الثالث: عدم مراعاة سياق النزول

قوله تعالى: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأنعام: 125].

استدلّ أصحاب الإعجاز العلمي بهذه الآية على قضية تتعلق بالصعود إلى الأجواء العليا، حيث وجد أن الإنسان تتناقص قدرته على التنفس الطبيعي درجة بعد درجة كلما تصاعد إلى السماء، وسبب ذلك انخفاض الضغط الجزئي للأكسجين في طبقات الجو العليا، وقد جعل أصحاب الإعجاز العلمي هذه الظاهرة الكونية تفسيرًا للحرج الذي يصيب الكافر بسبب عدم قدرته على الإيمان.

وقد جعلوا التشبيه يعود إلى الضيق والحرج، والمعنى عندهم: إن حال ضيق صدر الكافر المعرض عن الحق وعن قبول الإيمان بحال الذي يتصعد في السماء.

وذكر وجه الشبه، وهو الصفة المشتركة بينهما: ضيقًا وحرجًا، وجاء بأداة التشبيه (كأن) ليقع بعدها المشبه في صورة حسية واضحة...

ولكن إذا جئنا إلى كتب التفسير نجد هذه الآية تتحدث عن حال الكافر وحال المؤمن، ثم ضرب مثالاً بحال الأكابر من المجرمين الذين لا يمكن أن يدخل الإيمان قلوبهم لما فيهم من الكفر والإجرام، ثمَّ بين سبحانه مشيئته في الهداية والإضلال، وذكر أن من أراد هدايته، فإنه يشرح صدره للإيمان به وييسره له، ومن أراد له الضلال، فإنه يجعل صدره في حال ضيق وحرج شديد، ولو أراد الإيمان فإنه لا يستطيعه، كما لا يستطيع الإنسان أن يصعد في السماء. [1]

قال **الطبري**: "القول في تأويل قوله تعالى: { كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ } وهذا مَثَلٌ من الله –تعالى ذكره– ضربه لقلب هذا الكافر في شدة تضييقه إياه عن وصوله إليه؛ مثل امتناعه من الصعود إلى السماء، وعجزه عنه؛ لأن ذلك ليس في وسعه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل...".

ثم ذكر الرواية عن عطاء الخراساني، قال: "مثله كمثل الذي لا يستطيع أن يصعد في السماء".

وعن ابن جريج: "يجعل صدره ضيقًا حرجًا بلا إله إلا الله حتى لا يستطيع أن تدخله، كأنما يصعد في السماء من شدة ذلك عليه".

---

[1] يُنظر: الإعجاز العلمي إلى أين؟ : د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي، ط2 ، 1433 هـ، ص 28.

وعن السدي: "كأنما يصعد في السماء من ضيق صدره".[1]

وتقدير المعنى عندهم: إن عدم قدرة الكافر على الإيمان كعدم قدرة الإنسان على الصعود إلى السماء، ويكون الضيق والحرج بسبب عدم قدرته على الإيمان لا بسبب التصعد في السماء.

وتفسيرهم لا يعيد التشبيه إلى الضيق والحرج، وإنما إلى الامتناع من الإيمان وعدم القدرة عليه.

وانشراح النفس للإيمان سابقة له، فمن يشاء الله له الهداية يشرح نفسه له، كما أن من أراد الله له الكفر فإنه يجعل صدره ضيقًا حرجًا، فلا يستطيع أن يؤمن بالله، وهو ممتنع عليه الإيمان كامتناع الصعود إلى السماء على الإنسان.

وهذا التفسير من دقائق فهم السلف، وتفسيرهم يرجع إلى لازم معنى الجملة الثانية، وهي جعل الضيق والحرج في صدر الكافر، إذ من لازمه أنه لو أراد الإيمان فإنه لا يستطيعه، كما لا يستطيع الإنسان الصعود للسماء، فنبهوا على هذا اللازم الذي قد يخفى على كثير ممن يقرأ الآية.

وإذا تأملت هذين التفسيرين وعرضتهما على سياق القرآن ومقاصده، فأي القولين أولى وأقوى؟ لا شكَّ أن ما ذكره السلف أولى وأقوى، والثاني – وإن كان محتملاً – لا يرقى إلى قوته، وإن قُبِلَ هذا القول المعاصر على سبيل التنوع فالأول هو المقدَّم بلا ريب.

ووجه قوته كائن في أمور[2]:

– الأول: أن ما قاله السلف مُدركٌ في كل حين، منذ أن نزل الوحي بها إلى اليوم، أما ما ذكره المعاصرون، فكان خفيًّا على الناس حتى ظهر لهم أمر هذا المعنى هذا اليوم.

– الثاني: أن التنبيه عن امتناع الإيمان عنهم بامتناع صعود الإنسان إلى السماء أقوى وأولى من التنبيه عن تشبيه الحرج والضيق الذي يجده الكافر في نفسه بما يجده من صعِدَ طبقات السماء.

فالحرج والضيق مدرك منه بخلاف امتناع الإيمان الذي يخفى سبيله، وهو الذي جاء التنبيه عليه في الآية، وذلك من دقيق مسلك قدر الله سبحانه.

---

[1] يُنظر: جامع البيان في تأويل القرآن: مرجع سابق، ج12، ص 106.

[2] يُنظر: الإعجاز العلمي إلى أين؟ : د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي، ط2 ، 1433 هـ، ص 28.

رابعا: ضوابط منهجية في قبول دعوى الإعجاز العلمي

إنَّ أي تفسير جاء بعد تفسير السلف، علمي أو غيره، فإنه لا يقبل إلا بضوابط، وهذه الضوابط[1]:

1- أن لا يناقض (أي: يبطل) ما جاء عن السلف (أعني: الصحابة والتابعين وأتباع التابعين).

وذلك لأنَّ فهم السلف حجة يُحتكم إليه، ولا تجوز مناقضته البتة، فمن جاء بتفسير بعدهم، سواءً أكان مصدره لغة، أو بحثًا تجريبيًا، فإنه لا يقبل إن كان يناقض قولهم.

فإن قلت: إنه يرد عن السلف في تفسير الآية اختلاف، فكيف العمل؟

فالجواب: أنَّ الاختلاف الوارد عنهم أغلبه اختلاف تنوع، وليس بينه تضادٌّ إلا في القليل منه.

2- أن يكون المعنى المُفسَّر به صحيحًا.

وهو على قسمين:

- الأول: أن يكون المعنى من جهة اللغة، وهذا لابدَّ أن يثبت لغةً، وأي تفسير بمعنى لم يثبت من جهة اللغة، فإنه مردود، كمن يفسِّر الذرة الواردة في القرآن بالذرة الفيزيائية، وهذا مصطلح حادث لا يثبت في اللغة.

- الثاني: أن يكون المعنى جُمليًا لا من جهة اللغة، كمن يفسِّر خلق الأطوار بأنها الأطوار الداروينية. وهذا مخالف لما جاء في الشريعة، وهو غير صحيح في نفسه؛ لذا لا يصحُّ التفسير به، ولا بما هو على منهجه البتة.

3- أن يتناسب مع سياق الآية، وتحتمله الآية.

وهذا قيد مهمٌّ، وفيه مجال للاختلاف، لكن لا يجب إلزام الآخر به، وكثيرٌ من التفسيرات بما وصل إليه البحث التجريبي تدخل في هذا الضابط؛ إذ قد يكون المعنى غير مناقض لما ورد عن السلف، وهو معنى صحيح، لكن يكون وجه ردِّه عدم احتمال الآية له، والحكم باحتمال الآية له من عدمه محلُّ اجتهادٍ، وإذا كان الاجتهاد في احتماله أو عدمه عن علم فلا تثريب على الفريقين، بل في الأمر سعة، كما هو الحال في الاجتهاد الكائن في علماء أمة محمد ﷺ.

[1] يُنظر: الإعجاز العلمي إلى أين؟، مرجع سابق، ص 90.

الخاتمة:

- لا بأس بالبحث في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم فالعلم والقرآن من مشكاة واحدة.

- للإعجاز العلمي فوائد مشاهدة في الدعوة إلى دين الحق.

- لابد للباحثين في مجال الإعجاز العلمي البحث أولا في معاني الآيات عند جمهور المفسرين من مفسري السلف والخلف تفاديا للخروج عن إجماعهم على تفسير معين، فإجماع أهل التفسير حجة ملزمة.

- اللغة العربية وعاء القرآن الكريم والمعبرة عن معانيه فلا يقبل من الاستنباطات المعاصرة إلا ما تحتمله اللغة وتدل عليه بوجه من الوجوه، فهي الحاكمة على أي تفسير أو دعوى إعجاز بالتصديق أو بالتكذيب.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

قائمة المصادر والمراجع:

- الإعجاز العلمي إلى أين؟ : د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي، ط2 ، 1433 هـ.
- الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم: فهد خليل زايد، دار النفائس، عمان، الأردن، 2008.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس،1984.
- تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولى.
- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط1، 1419 .
- التفسير اللغوي للقرآن الكريم: مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي،ط1 ، 1432هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م.
- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000 م.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ .
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ.

- معالم القرآن في عوالم الأكوان: أحمد محيي الدِّين العجوز، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، ط1، 1987.

-